أهمية الرصيد المفرداتي المكتسب في المدارس القرآنية

Importance of the vocabulary balance gained in quranic schools

د. رحمة كزولي *

مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللّغة العربية – وحدة البحث: تلمسان: rahmakz14@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2023/10/11	تاريخ القبول:2023/10/21	تاريخ النشر: 2024/03/26

ملخص:

إنّ اكتساب الطفل للملكة اللّغوية يعدّ هاجسا في الحقل التربوي التعليمي؛ حيث أنّ تنويع مصادر اكتساب اللّغة عنصر مهم في تنشئة الطفل وتنمية مهاراته اللّغوية، وسنحاول في هذا المقال الحديث عن القرآن الكريم ومدى أهميته في تنمية الملكة اللّغوية، وقد ثبت أنّ الأطفال الذين يداومون على حفظ القرآن الكريم وقراءته لديهم زاد لا بأس به ساعدهم في تنمية الملكة اللّغوية؛ إذ أنّه يكسب قارئه رصيدا مفرداتيا ولغويّا ثريّا ويمكنهم من ناصية اللّغة العربية في جميع ميادينها فتتكون لديه القدرة على الحديث براحة وبكلّ طلاقة وفصاحة، والتعبير عن المعنى الواحد بطرق مختلفة، كما يعبّر عن المواقف بالألفاظ المناسبة لها ويمنحه قدرة فائقة على التفكير والتأثير والإقناع.

الكلمات المفتاحية : الرصيد المفرداتي؛ المدارس القرآنية.

Abstract:

The child’s acquisition of linguistic competence is a concern in the educational field. As diversifying the sources of language acquisition is an important element in raising a child and developing his linguistic skills, we will try in this article to talk about the Holy Qur’an and the extent of its importance in developing the linguistic ability. It has been proven that children who continue to memorize and read the Holy Qur’an have a significant increase that helps them develop the ability. linguistic; It gives the reader a rich vocabulary and linguistic balance and enables him to master the Arabic language in all its fields. He has the ability to speak comfortably, fluently and eloquently, and express the same meaning in different ways. It also expresses positions with appropriate words and gives him a superior ability to think, influence and persuade.

Keywords: Vocabulary Balance; Quranic schools.

* رحمة كزولي

1.مقدمة:

يعدّ القرآن الكريم الكتاب الذي أنزل على نبيّنا (صلى الله عليه وسلّم) بلسانٍ عربيٍّ مبينٍ، فأضفى على لغة العرب جمالاً وسحراً، واستطاع بأساليبه الباهرة وبلاغته المعجزة أن يحوز إعجاب العرب، فأرغمهم على الإجماع عليه والخضوع له.

وإذا كان شرف القرآن الكريم عاد أثره على اللّغة العربية، فلا ريب أن يستفيد حافظه وتاليه وينال من ذلك الشرف، ونقصد – هنا – أثره من جهة لغته وفصاحته وبيانه. وقد حثنا القرآن الكريم على تعلّمه وتعليمه، وإنّ الإكثار من تلاوة القرآن وحفظه يسهم في طلاقة اللسان وفصاحته لهذا اهتم السلف بالبدء بتحفيظ أولادهم القرآن الكريم من الصغر فكانوا يقومون ببعثهم إلى المدارس القرآنية.

ومن خلال بحثنا هذا سنحاول التعرّف على مدى مساهمة حفظ القرآن الكريم وتلاوته في اكتساب ملكة اللّغة العربية، وبيان مستوى الرصيد المفرداتي المكتسب لدى حفظة كتاب الله.

2. تعريف الرّصيد المفرداتي:

تعدّدت المصطلحات الدّالة على الرصيد المفرداتي منها الرصيد اللّغوي أو الحصيلة اللّغوية أو المفرداتية وهناك من عبّر عنه بالمخزون المفرداتي أو اللّغوي وذلك نظرا لتعدّد وجهات النظر، فيعرّفه أحدهم بقوله: «يقصد بالحصيلة اللّغوية للطفل عدد الكلمات التي يكتسبها الطفل وتصبح جزءا من بنيته المعرفية، ويستطيع أن يستخدمها في عملية التواصل مع الآخرين استماعا ومحادثة وتعبيرا عما يدور في عقله من أفكار وما يحسّ من مشاعر» (الريماوي، 2003، صفحة 12) وترتبط الحصيلة المفرداتية أو اللّغوية بشكل وثيق بكلّ من تفكير الطفل، وذكائه ونمو قدراته العقلية بشكل عام، نتيجة لذلك فإنّ أي تأخر أو تأثر في لغة الطفل واكتسابها يؤثر تأثيرا كبيرا في مستوى تفكيره وذكائه» (المعتوق، 1996) فالحصيلة اللّغوية تساعد على تكوين عالمه بكافة أبعاده وجوانبه، وتمكنه من التعرّف على الأشياء من حوله (الضبع، 2001، صفحة 29).

فيما نجد من يعطيه تعريفا جامعا يشمل المفردات والأساليب والتعابير؛ إذ يعرّفه يوسف العيد: «بأنّه كم من المفردات والتعابير التي اكتسبها الطفل من البيئات المحيطة به نتيجة لقدرات عقله وعوامل وراثية محدّدة» (عيد، 2016، صفحة 35).

أمّا زكريا الحاج إسماعيل فيقول بأنّه: «مجموع المفردات والألفاظ والأساليب التي اكتسبها التلميذ خلال دراسته لمادة اللّغة العربية ويستطيع تفسيرها والتعبير عنها لفظا أو كتابة أو كليهما معا مستخدما القواعد النحوية التي مرّت بخبراته السابقة» (الحاج إسماعيل، 1990، صفحة 308).

ونجد من يربط الرصيد المفرداتي بالعملية التعليمية ومختلف مؤسساتها فيعرّفه بأنّه: «انتقاء واستخلاص للمعارف اللّغوية، نتيجة خضوع المتعلّمين إلى عمليات التعلّم في المؤسسات الاجتماعية والتعليمية بكلّ أنواعها؛ ممّا يؤدي إلى حرز ميكانيزمات اللّغة مبنى ومعنى في الذهن، واستغلالها في مواقف التبليغ الكلامي والكتابي» (جعفري، 2003، صفحة 46).

1. 2 أهمية ثراء الرصيد المفرداتي:

إنّ ثراء الحصيلة اللّغوية وتعدّد وتنوع مستوياتها لدى التلميذ يجعله أكثر فهما لما ينطق أو يكتب، كما تساعده الحصيلة التي كوّنها من مفردات وتراكيب على تأدية دور المخاطب لنقل التجارب التي اكتسبها والمعارف والخبرات إلى الطرف الآخر وتبادل الأفكار، وتؤدي الحصيلة اللّغوية كذلك دورا كبيرا في جعل الفرد فعالا في محيطه، وبين أفراد مجتمعه بحيث يمتلك القدرة على الاكتساب وبالتالي يمكنه الإبداع، فثراء الحصيلة اللّغوية للطفل في سن مبكر تكمن فيما يلي: (الزاوي، 2006، الصفحات 91-92)

- تساعد التلميذ على فهم ما يسمع أو يقرأ أو يكتب.
- تساعد التلميذ على الحديث بطلاقة.

- تساعد على تنويع المفردات والأساليب في الحديث.
- المساعدة على اختيار اللفظ المناسب في الوقت المناسب.
- المساعدة على اكتساب القدرة على التأثير والاقناع.
- تساعد كذلك على امتلاك الجرأة الأدبية والثقة بالنفس.

3. تعريف المدارس القرآنية:

هي مؤسسات تعليمية دينية تحت وصاية الوزارة المكلّفة بالشؤون الدينية؛ إذ تنشأ المدارس القرآنية بقرار من الوزير المكلّف بالشؤون الدينية، ومنه فتح المدارس القرآنية للبنين والبنات الراغبين في حفظ القرآن الكريم وتعلّم مبادئ الدين الإسلامي الحنيف (ابن جاب الله و آخرون، 2008، صفحة 08). أي أنّ المدارس القرآنية تقوم بقرار من وزير الشؤون الدينية من أجل حفظ القرآن الكريم وتعلّم المبادئ التي يقوم عليها ديننا.

وتتباين مستويات التعلّم بالمدارس القرآنية وتختلف؛ إذ تدرّس فيها مبادئ القراءة والكتابة والتلقين وتحفيظ القرآن الكريم، وتدريس باقي علوم الشريعة المساعدة على فهم معاني الألفاظ القرآنية وروح الشريعة (وزارة التربية الوطنية، صفحة 07). فالمدارس القرآنية متعدّدة الوظائف حيث تحوي فئات من مختلف الأعمار وكلّ فرد يتعلّم ما يناسب عمره؛ فالأطفال يتعلّمون القراءة والكتابة، أمّا الكبار فيحفظون القرآن الكريم ويطّلعون على علوم الشريعة.

وهناك تعريف آخر للمدارس القرآنية والذي ركزت فيه اللجنة المتخصّصة عن هذه المؤسسات على الجانب التاريخي في هذا المجال؛ إذ عرّفوها بقولهم: «هي مؤسسات تربوية تعليميّة وتثقيفيّة أملت ضرورة وجودها المبرّرات التاريخية التراثية، وكذا الرغبة لدى الشباب في وجود محاضن دينية آمنة وحصون علمية موثوق بها لتحمي قيم الهوية الدينية والشخصية الوطنية مثلما كانت دائما عبر الأزمنة بمساجدها وكتاتيبها وزواياها ومعابدها» (تازورتي، 2003، صفحة 02). أي أنّ وجود مثل هذه المؤسسات التربوية ضرورة حتمية من أجل الحفاظ على القيم الدينية والاجتماعية.

ويهدف التعليم بالمدرسة القرآنية إلى ما يلي: (وزارة الشؤون الدينية، 2009، صفحة 73).

- يساعد تعلّم القرآن على القراءة الجيدة وحسن الحوار الذي ينمّي قيم التّواصل مع الغير.
- تدبّر معاني القرآن الكريم والتّعرّف على أحكامه للاستعداد للفهم والتطبيق، وبذلك يكتسب الطفل القيم الإيجابية التي تجعله عضوا فاعلا في المجتمع.
- تحفيظ القرآن الكريم للنّاشئة حتى تستقيم ألسنتهم وتجود عباراتهم بعبارات مستقاة من القرآن وألفاظه.
- تعزيز سلوكات الأطفال بما يتماشى وتعاليم الدّين الحنيف لبناء مجتمع سليم متماسك.
- تقديم نماذج طيّبة للسيرة النبوية للاقتداء بها.
- تزويد النّاشئة برصيد لغويّ ثريّ، وتدريبهم على القراءة الصحيحة السليمة من الأخطاء، والكتابة بخط مقروء جميل.
- تنمية ثقافتهم الدينية وتدريبهم على التواصل الشفهي، من خلال القصص والمعاني الدينية التي جاء بها القرآن الكريم، لأنّها ليست مجرّد آيات اعتبارية، إنّما هي صورة حيّة تمرّ بخيال القارئ، فينمو خياله الخصب.

4.أثر القرآن الكريم في بناء الحصيلة اللّغوية والفكرية:

إذا عرفنا أهمية الحصيلة اللّغوية، ودورها الأساسي في عملية التواصل والتعايش والترابط والتفاعل الاجتماعي، يمكن لنا "إدراك ما يترتب على نقص هذه الحصيلة، أو عجزها من سلبيات يعود أثرها على الفرد وعلى المجتمع وحضارته عامة، من عزلة اجتماعية، وضعف القدرة على التفاعل واضطراب الشخصية، وضيق في الأفق الثقافي والفكري، وضحالة الإنتاج الإبداعي أو الفكري، ثمّ هجران اللّغة أو الازدواجية اللّغوية (الزاوي، 2006، الصفحات 92-93) .

يقول خالد زواوي في هذا الصدد: «الثروة اللّغوية ذات أهمية في اكتساب الملكة اللسانية بل في غيرها فهي تساعد المرء على فهم كثير ممّا يقرأ ويسمع ممّا يحفزه إلى سرعة القراءة والحديث بطلاقة كما تساعده على الحديث عن المعنى الواحد بطرق مختلفة، والتنويع بين المفردات ليعبّر عن الموقف باللّفظ المناسب له كما تمنحه الثروة اللّغوية قدرة فائقة على التفكير، وعلى التعبير عما في النفس من مشاعر وأحاسيس ورؤى وأفكار، وتمدّه بقدرة على التأثير والإقناع، فضلا عما في الثروة اللّغوية من تنشيط للإبداع والإنتاج الفكري، وتحفيز على التواصل والتفاعل مع الآخرين واستنطاق آرائهم وأفكارهم واكتساب خبراتهم، ندرك ما ينتج عن فقدان هذه الثروة أو ضعفها من أثار سلبية من عزلة اجتماعية واضطراب في الشخصية وضيق في الأفق الثقافي والفكري وضحالة في الانتاج الفكري والإبداعي» (الزاوي، 2006، صفحة 92).

وإنّ ما يجب أن يتخذّ في سبيل إدراك أهمية الثروة اللّغوية، معرفة مصادرها ومواردها التي تستقى منها، وطرق اكتسابها ووسائل تنميتها، ويعدّ الحفظ والقراءة من أهم الوسائل لتحصيل تلك الملكة وإثرائها، وأعظم ما يحفظ كتاب الله، ولقد اعتبر اللّغويون القرآن الكريم في أعلى درجات الفصاحة وخير ممثل للّغة العربية، لذا وقفوا منه موقفا موحدا، فاستشهدوا به وقبلوا كلّ ما جاء فيه، إذ لم يعرف أحد منهم تعرّض لما تبث وروده في المصحف بالنقد أو التخطئة (مختار عمر، 1988، صفحة 18).

فالقرآن الكريم يأتي في قمة الكلام الفصيح البليغ ويعجز عن الاتيان بمثله لذلك اكتسى أهمية كبيرة في تحصيل الرصيد المفرداتي والملكة اللّغوية عامّة لدى المتعلّم حيث يساهم في تنمية مختلف مهاراته: كالفصاحة والطلاقة والنطق السليم وقوة الحفظ، وقد أكّد بعض العلماء على أهمية حفظ القرآن الكريم وتلاوته باستمرار في تحصيل الملكة اللّغوية وتنميتها.

كما يعدّ القرآن الكريم رافدا مهمّا في اكتساب الطفل ملكة اللّغة العربية وحسن أدائه لها. فاللّغة العربية الفصحى المنطوية على طاقة لفظية ودلالية كامنة، والتي عبّر من خلالها القرآن الكريم عن الكون والحياة والدّين، كفيلة بأن تسخّر عبقريتها في سبيل استيعاب عديد المفاهيم والمستجدات لتتجاوز عالم الاستهلاك وتدخل عالم الانتاج الفكري (مقران، 2001، صفحة 234).

وبما أنّ القرآن الكريم حوى أفصح ما في لغة العرب وأعذبها فإنّه يعدّ أعظم مصادر اكتساب الملكة اللّغوية والثروة المفرداتية. فألفاظ القرآن الكريم التي يكتسبها المرء بقراءته وحفظه، ليست كسائر الألفاظ، بل هي ألفاظ قد بلغت الغاية في الحسن والجمال والفصاحة والبلاغة، وفي هذا يقول الراغب الأصفهاني: «ألفاظ القرآن هي لبّ كلام العرب وزبدته، وواسطته وكرائمه، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم، وإليها مفزع حذّاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم، وما عداها وعدا الألفاظ المتفرعات عنها والمشتقات منها، هو بالإضافة إليها كالقشور والنوى بالإضافة إلى أطايب الثمرة، وكالحثالة والتبن بالإضافة إلى لبوب الحنطة» (الأصفهاني، 1991، صفحة 55).

وللرصيد المفرداتي أهمية كبيرة في تحصيل الملكة اللسانية للمتعلّم كونها تنمي قدرة التفكير والتعبير لديه وتزيد من إبداعه وإنتاجه كما وتوسّع آفاقه العلمية والثقافية والفكرية فيصبح قادرا على استيعاب وفهم ما يقرأ وما يسمع وعلى الحديث بكلّ طلاقة وراحة.

وهناك من شبّه الطفل الحافظ للقرآن الكريم والذي يقرأه باستمرار بالأطفال الذين كان العرب يبعثونهم إلى البوادي من أجل أخذ اللّغة من أصولها؛ إذ يقول سعيد بوخاوش: «النّص القرآني يمثل نصّا لسانيا متكاملا، موجودا بالبديهة، فكأنّ حافظ القرآن يأخذ اللّغة وهو في حالة الحركة (كلام) يأخذ الألفاظ والجمل والنسق والنظم القرآني، ويكوّن لنفسه منوالا ذهنيا عربيا، على وفق ما كان العرب في القديم يفعلونه مع أبنائهم لما كانوا يبعثون بهم إلى البوادي لغرض تفتيق

ألسنتهم، حيث يعايشون اللّغة في زمن الصبا، فيسمع وينصت الواحد منهم إلى الأداء اللّغوي السليم، فتمتلئ قريحته بلسان قومه، ويكتسب منوالا وقالبا لغويّا ذهنيا يمكّنه من إنتاج الكلام» (بوخاوش، الصفحات 22-23).

وقد بيّن ابن خلدون أهمية حفظ القرآن الكريم وتلاوته في اكتساب الملكة اللسانية وتنمية مهاراتها وذلك نظرا لجودة المحفوظ؛ إذ يقول: « ويظهر لك من هذا الفصل ما تقرّر فيه سر آخر وهو إعطاء السبب في أنّ كلام الإسلاميين من العرب أعلى طبقة من البلاغة وأذواقها من كلام الجاهلية في منثورهم ومنظومهم فإنّا نجد شعر حسان بن ثابت وعمرو بن أبي ربيعة وطرفة بن العبد وجرير والفرزدق ونصيب وعيلان ذي الرمة والأحوص وبشار ثمّ كلام السلف من العرب في الدولة الأموية وصدرا من الدولة العباسية في خطبهم وترسيلهم ومحاوراتهم للملوك أرفع طبقة في البلاغة بكثير من شعر النابغة وعنترة وابن كلثوم وزهير وعلقمة بن عيدة ومن كلام الجاهلية في مشوراتهم ومحاوراتهم والطبع السليم والذوق الصحيح شاهدان بذلك للناقد البصير بالبلاغة.

والسبب في ذلك أنّ هؤلاء الذين أدركوا الإسلام سمعوا الطبقة العالية من الكلام في القرآن الكريم والحديث الذين عجز البشر عن الإتيان بمثليهما لكونها ولجت في قلوبهم ونشأت على أساليبها نفوسهم فنهضت طبعهم وارتقت ملكاتهم في البلاغة على ملكات من قبلهم أهل الجاهلية ممن لم يسمع هذه الطبقة ولا نشأ عليها فكان كلامهم في نظمهم ونثرهم أحسن ديباجة وأصفى رونقا من أولئك وأرصف مبني وأعدل تثقيفا بما استفادوا من الكلام العالي الطبقة وتأجل ذلك يشهد لكبه إن كنت من أهل الذوق والتبصر بالبلاغة.

ولقد سألت يوما شيخنا الشريف أبا القاسم قاضي غرناطة لعهدنا وكان شيخ هذه الصناعة أخذ بسبته عن جماعة من مشايختها واستبحر في علم اللسان وجاء من وراء الغاية فيه، فسألته يوما: ما بال العرب الإسلاميين أعلى طبقة في البلاغة من الجاهليين ولم يكن ليستذكر ذلك بذوقه. فسكت قليلا ثمّ قال لي والله ما أدري! فقلت له: أعرض عليك شيئا ظهر لي في ذلك ولعلّه السبب وذكرت له هذا الذي كتبته فسكت معجبا ثمّ قال لي: يا فقيه هذا الكلام من حقه أن يكتب بالذهب» (ابن خلدون، 2004، الصفحات 283-284).

وممّا يدلّ على أثر حفظ كتاب الله على لغة صاحبها وإثرائها، استعمال كلماته في حديثهم منذ نزوله، ومنه كذلك تضمين البلغاء والشعراء والأدباء في كلامهم ألفاظ ومعاني من القرآن الكريم، أو جملا توافق لفظه ممّا يعدّ اقتباسا في البلاغة العربية، ولقد أورد الثعالبي في كتابه: "الاقتباس من القرآن الكريم" شواهد كثيرة من كلام العرب تضمنت معاني لآيات قرآنية أو اقتباس منها، نختار منها ما يلي:

- من كلام النبي صلى الله عليه وسلّم: (علامة المنافق ثلاث، إذا أؤتمن خان، وإذا وعد أخلف، وإذا حدّث كذب) (البخاري، 2018، صفحة 33)

- معنى الحديث مقتبس من قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَنْ عَاهَدَ الله لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِين* فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَهُمْ مُعْرِضُونَ* فَأَعْقَبَهُم نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِم إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا الله مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُون﴾، سورة التوبة، الآية: 75-76-77.

- وقولهم: (الناس أعداء ما جهلوا) (الثعالبي، 1992، صفحة 138)، مقتبس من قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِم تَأْوِيلُهُ ﴾، (سورة يونس، الآية:39).

- ومن اقتباسات الشعراء من القرآن الكريم، قول مروان بن أبي حفصة ينشد الرشيد من الطويل:

وسدت بهارون الثغور وأحكمت به من أمور المسلمين المرائر

فكلّ ملوك الروم أعطاه مزية على الرغم قسرا (عن يد وهو صاغر) (الثعالبي، 1992، صفحة 581)

- والشاهد من البيت قوله: عن يد وهو صاغر، وهذا مقتبس من قوله تعالى: ﴿حَتَّى يُعْطُوا الجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُون﴾، سورة: التوبة: الآية: 29.

ومن أمثلته أيضا ما جاء في كتاب صبح الأعشى للقلقشندي: "ما يروى عن المعتصم أنّ ملك الروم كتب إليه يتوعده ويتهدّده فأمر الكتاب أن يكتبوا جوابه فلم يعجبه ممّا كتبوا شيئا فقال لبعضهم أكتب: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أمّا بعد فقد قرأت كتابك وفهمت خطابك والجواب ما ترى لا ما تسمع ﴿وَسَيَعْلَمُ الكُفَارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّار ﴾ (سورة الرعد، الآية: 42)" (القلقشندي، صفحة 229).

وممّا جاء في صحيح البخاري (البخاري، 2018، صفحة 2687) من حديث أم العلاء ﷺ في وفاة عثمان بن مظعون رضي الله عنه أنّ النبي صلى الله عليه وسلّم قال: (أمّا هو فقد جاءه اليقين. والله، إنّي لأرجو له الخير. والله، ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي). وفي قوله: (جاءه اليقين) موافقة لقوله تعالى: ﴿حَتَّى يَأْتِيَكَ اليَقِينُ﴾ سورة الحجر، الآية: 99، وفي قوله: (والله، ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي) موافقة لقوله تعالى: ﴿قُل مَا كُنْتَ بَدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بِكُم ﴾ سورة الأحقاف، الآية: 9.

و ممّا جاء أيضا في البخاري (البخاري، 2018، صفحة 3374) عن أبي هريرة؟ قال: قيل للنبيّ: من أكرم الناس؟ قال: (أكرمكم أتقاكم). قال ابن حجر: قوله: (أكرمكم أتقاكم) هو موافق لقوله تعالى :﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُم عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُم ﴾ سورة الحجرات، الآية: 13.

ونجد أنّ الأفراد الذين يتلون القرآن كثيرا يجدون أنفسهم وقد استعملوا ألفاظه وأساليبه وإن كانوا من عامّة الناس أو الأميين الذين لا يجيدون القراءة والكتابة ولكنهم يحفظون القرآن الكريم فيقتبسون بعضا من ألفاظه ويضمنونها في كلامهم، وهذه مهارة لا يحسنها إلا من حفظ القرآن؛ لأنّه حين يتحدث ويصل إلى معنى عبرّ عنه القرآن فإنّ عبارة القرآن تسبق إلى ذهنه وذلك راجع لحفظه وكثرة تكراره لها، كقولهم: (ظهر الحق وزهق الباطل إنّ الباطل كان زهوقا)، (ولا يسمن ولا يغني من جوع)، (وإنّ بعض الظن إثم).

وممّا يدلّ على أثر حفظ الآيات القرآنية في زيادة الثروة اللّغوية وإثرائها، ما ذكره الدكتور العليوي (العليوي، صفحة 20) في بحثه، ممّا يلاحظ من استعمال العوام من الناس لألفاظ القرآن الكريم وتعبيراته في كلامهم اليومي، من ذلك قولهم: (صم بكم)، في مقام عدم الإجابة وقصور الفهم، وقولهم: (والصلح خير) في مقام الدعوة إلى الصلح، وقولهم: (ما على الرسول إلاّ البلاغ) حين يبلغون ما يستثقله المخاطب ويعترض عليه، و(ذهب هباء منتورا)، و(الطامة الكبرى)، و(لا يسمن ولا يغني من جوع)، و(قاب قوسين أو أدنى)، و(إن تعفوا أقرب للتقوى)، و(إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم)، و(ذكر فإنّ الذكرى تنفع المؤمنين)، و(إنّ بعض الظن إثم)... ونحو ذلك ممّا نسمعه في ثنايا محادثات العامة.

ونظرا للأهمية الكبيرة لقراءة وحفظ القرآن الكريم فقد لجأ إليه غير المسلمين من أجل تعلّم اللّغة العربية واتقانها، فهو معجز ببلاغته وبيانه، فله الأثر الكبير في تعلّم حسن الأسلوب وعذوبة البيان والبراعة في الإيجاز والاختصار وإثراء المخزون المفرداتي، "فقد ورد في قاموس المنجد للأب لويس معلوف اليسوعي في ترجمة الشيخ إبراهيم اليازجي أنّه حفظ القرآن (مع أنّه كان مسيحيا). ومن الغريب جدا أن يهتمّ رجل مسيحيّ بتلاوة القرآن، فضلا عن أن يكلّف نفسه عناء حفظه في الحين الذي لا يؤمن به أنّه وحي من عند الله. فلم يكن الشيخ إبراهيم اليازيجي ليجمع همّه ويفتدي بأحلى أيامه في حفظ القرآن الكريم إلاّ لأنّه علم وتأكّد من أنّ تلاوة القرآن وحفظه سوف يزوّده بأغلى ثروات العلم والمعرفة والبلاغة لأنّ حفظ القرآن ليس من الأمور السهلة. بل لا يصبر على حفظه حتى المسلمون إلاّ قلّة منهم. ولكن القرآن، في أدلّته وحججه والاقتباس منه مدد أيّما مدد لمن يستنجد به (العيادي، 2017، صفحة 487).

وقد أكّدت الدّراسات والبحوث أنّ لحفظ القرآن الكريم وتلاوته، الأثر الكبير في تنمية الثروة اللّغويّة من الألفاظ والتراكيب، ومن بين هذه الدّراسات، بحث لفالح المغماسي بعنوان: "أثر حفظ القرآن الكريم في التحصيل الدّراسي بالمرحلة الجامعية"، وكان من نتائجه التي توصل إليها: أنّ حفظ القرآن الكريم يكسب الطالب ثروة لغويّة كبيرة، ويمكّنه من إتقان اللّغة العربية ممّا يساعده في تحصيله الدّراسي (المغماسي، 2004، صفحة 104).

وإذا كان أثره كبيرا على الطالب الجامعي فسيكون نفعه أكبر عند التلاميذ في المراحل الأولى من التعليم وذلك بما يغذي قارئه من أساليب أدبية وبلاغية، لذا يرى عديد الباحثين ضرورة إدخال القرآن الكريم إلى الفصول الدّراسية خاصّة في مراحله الأولى من خلال توزيع قراءة أجزاءه وحفظها حيث أنّ "حفظه والمداومة على مراجعته وقراءته والبحث في ألفاظه ومعانيه المتنوعة تكوّن له رصيدا مفرداتيا وثروة لغويّة مهمّة، تتناسب وتحصيله الثقافي والعلمي وتنمي التذوق الجمالي عنده، الأمر الذي يساهم ويزيد قارئه من اتساع دائرة استمتاعه وعقليا وأدبيّا. "فالقرآن أشرف نصّ لغويّ، وحفظه يوجب على صاحبه كثرة ترداده والمداومة على تلاوته، وتكرار النصوص اللّغويّة وحفظها يورث المرء تمكّنا في لغته وارتقاء في أسلوبه (مسملي، 2023، صفحة 09).

ويؤثر حفظ كتاب الله وتكراره في التحصيل العلمي للتلميذ، وقد أثبت الواقع أنّ حفاظ القرآن الكريم من المتفوقين في العلم، وفي جميع المواد الدراسية، بل إنّه يساعدهم على الاستيعاب الجيّد للمواد المتنوعة، مقارنة بأقرانهم الذين لم يحفظوا القرآن الكريم، فهو أساس التعلّم، وقد حثّ المسلمون الأوائل على تعليم صغارهم القرآن الكريم بما يرسّخ في قلوبهم الإيمان، وبما يسهم في تحصيل باقي العلوم، لأنّهم أدركوا فاعليته في تكوين القوة العقلية والفكرية للطفل منذ صغره، يقول ابن خلدون عن هذا: «تعلّم الولدان القرآن صار أصل التعليم الذي ينبني عليه ما يحصل بعده من الملكات وسبب ذلك التعليم في الصغر أشد رسوخا، وهو أصل لما بعده؛ لأنّ السابق الأول للقلوب كالأساس للملكات، وعلى حسب الأساس وأساليبه تكون حال ما» (ابن خلدون، 2004، صفحة 353).

وإثراء الرّصيد اللّغوي للطفل من خلال حفظه للقرآن الكريم يكسبه ثروة طائلة من المفردات والتي تفوق كما أثبتت الدّراسات اللّسانية سبعا وسبعين ألف كلمة، وباكتسابه لهذا الرصيد الوافر من الألفاظ، ثمّ التراكيب، وكذا الأساليب اللّغوية الفصيحة من القرآن الكريم؛ فإن ذلك كلّه يمكّنه من تفهم أيّ نصّ من النصوص الأخرى، سواء ما يجده في التّراث العربيّ أم الإسلاميّ، أم مستجدات العصر، هذا من جهة، ومن جهة ثانية يكتسب قدرة لغويّة معينة على الفهم والتحليل والتقويم، لما قد يتعرض له من ظواهر لغويّة. وهذا كلّه راجع كما قلنا سابقا لحفظ القرآن الكريم لأنّه يعمل على تنشيط العقل وإثارته وتطويره وجعله يعمل باستمرار، و"ألفاظ اللّغة المكتسبة كلما كانت مستمرة الحضور في الذهن، كانت عملية اكتساب الألفاظ، أو المواد الجديدة أسرع وأكثر إيجابية، حيث تكون عملية التذكر واستيعاب ما يقرأ ويسمع أسرع، كما تكون عملية اكتساب المفردات والألفاظ الغريبة المجاورة لها المرتبطة بها شكلا أو معنى في سياقها أسرع أيضا (بوجمالة، 2003، صفحة 52) فيحتفظ التلميذ بالمعلومات ويكتسب مخزونا مفرداتيا كبيرا ممّا يجعله يتمتع بارتفاع في مستوى المحادثة في مختلف مجالات الحياة لفظا وأسلوبا وفكرة وهذا ما لوحظ على جلّ حفظة القرآن الكريم.

إضافة إلى ذلك فهي تساعد الطفل أو التلميذ على التحكم في أمور كثيرة، "فما يتعلّمه الطفل من آيات قرآنية، وما يسمع من رواد المسجد ينمي رصيده اللّغوي، على أنّ القرآن يحفز أداء الذاكرة واستدعاء الكلم مفردة ومقترنة بغيرها، كما أنّ ترتيل القرآن يحقق لحفظته إبانة في أداء الأصوات صفة ومخرجا (الموسي، 2007، صفحة 45).

وقد توصلت عدّة دراسات ميدانية على عيّنة من التلاميذ إلى إثبات الأثر الكبير لحفظ القرآن الكريم في زيادة وتنمية الرصيد المفرداتي لدى التلاميذ، ممّا يستوجب علينا الحث على حفظه وتكراره خاصّة في المراحل الدّراسية الأولى باعتبارها من المراحل الهامة لاكتساب اللّغة. "ولا يخفى أنّ كثيرا من مفردات اللّغة العربية التي وردت في القرآن الكريم قد

انحسر استعمالها الآن كثيرا في المجتمعات العربية، فيبقى حفظ القرآن محافظا عليها، لكثرة دورانها على ألسنة الحفاظ وعلى أسماع الناس من قراء القرآن الكريم (الزهراني، 2022).

فالقرآن الكريم كان ولا يزال الكتاب الخالد الذي يخلّد بين صفحاته تراثا لغويّا غنيّا بأصول اللّغة، وثريّا بألفاظها وأساليبها البليغة. فحريّ بنا نحن العرب أن نتحصّن بهذا الكتاب للحفاظ على سليقتنا اللّغويّة السّليمة، وعلى تراثنا اللّغوي العربي من التّلاشي والذوبان في التيارات العصريّة التي تسعى لوأد لغتنا العربية تحت شعار العولمة التي أصبحت تهدّد وجودنا وكياننا وقيّمنا وتاريخنا ككلّ (علاق، 2011). فحفظ القرآن يمكّن المتعلّم من إثراء معجمه الذهني برصيد مفرداتي كبير يساعده على اكتساب متن اللّغة.

4. خاتمة:

- خلصنا في من خلال ورقتنا البحثية إلى جملة من النتائج، أهمها:
- حفاظ القرآن الكريم يعدّون من التلاميذ المتفوقين دراسيا وذلك راجع طبعا إلى قراءة وحفظ كتاب الله.
- للقرآن الكريم أثر كبير في تنمية التحصيل اللّغوي والدراسيّ لدى المتعلّم عامّة والأطفال بصفة خاصّة.
- القرآن الكريم بفضل بلاغة لغته وفصاحة ألفاظه وبيانه وإعجازه يساعد في تحسين الأداء اللّغوي للمتعلّم.
- النّص القرآني يسهم بشكل كبير في إثراء الرصيد المعجمي للتلاميذ من خلال ألفاظه وكلماته.

وإن كان من توصيات في خاتمة هذا البحث فستكون:

- الحث على حفظ القرآن الكريم، وتشجيع التلاميذ على تلاوته.
- التوسع بالمناهج والمقررات التي تركز على حفظ أجزاء من القرآن الكريم.
- زيادة العناية بحفظ القرآن الكريم وتحفيظه في مدارس التعليم العام والخاص.
- ربط المنهج المقرر في القراءة في المرحلة الابتدائية بعلوم القرآن وتلاوته وحفظه.
- التركيز على مرحلة الطفولة في تعليم القرآن ومهارات القراءة نظرا لقدرة الطفل في هذه المرحلة على الحفظ وعلى اكتساب اللّغة.

6. قائمة المصادروالمراجع:

1. إبراهيم محمد الشافي،(1980)، التربية الإسلامية وطرق تدريسها، ، ط1، مكتبة الفلاح، الكويت.
2. ابن خلدون. (2004)، المقدمة، دار يعرب، دمشق، سوريا.
3. أحمد بن علي القلقشندي، (بلا تاريخ)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،
4. أحمد محمد المعتوق، (1996)، الحصيلة اللّغوية: أهميتها، مصادرها، وسائل تنميتها، دار المعرفة، الكويت.
5. أحمد مختار عمر، (1988)، البحث اللّغوي عند العرب، القاهرة، عالم الكتب، مصر.
6. البخاري، 2018، صحيح البخاري، دار ابن كثير، بيروت، لبنان.
7. الثعالبي، (1992)، الاقتباس من القرآن الكريم، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، مصر.
8. الغريب الأصفهاني، (1991)، ط1، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت.
9. النذير ابن جاب الله و آخرون، (2008)، المدارس القرآنية بين الواقع والتطلعات، دار القصبة للنشر، الجزائر.

10. ثناء يوسف الضبع، (2001)، تعلّم المفاهيم اللّغوية والدينية لدى الأطفال، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر.

11. حفيظة تازورتي، (2003)، اكتساب اللّغة العربية عند الطفل الجزائري، دار القصبة للنشر، الجزائر.

12. خالد الزاوي، (2006)، اكتساب وتنمية اللّغة، مؤسسة حورس الدولية، الإسكندرية، مصر.

13. زكريا الحاج إسماعيل، (1990)، التحصيل اللّغوي لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية، دراسة تقييمية، مجلة كلية التربية، العدد: 07، جامعة: قطر.

14. سالم غرم الله الزهراني، (2022)،حفظ القرآن الكريم وأثره في لغة الطفل. قرآنيكا، مجلة عالمية لبحوث القرآن، العدد: 09.

15. سعيد بن فالح المغماسي، (2004). أثر حفظ القرآن الكريم في التحصيل الدّراسي بالمرحلة الجامعية، مجلة العلوم التربوية والدراسات الإسلامية.

16. سعيد بوخاوش، (بلا تاريخ)، المحفوظ القرآني وأهميته في تطور الأداء اللّغوي العربي، مجلة الآداب واللّغات.

17. صورية العيادي، (2017)، من آثار تعلّم القرآن الكريم في تنمية الملكة اللّغوية. مجلة الإحياء، العدد: 20، كلية العلوم الإسلامية، جامعة باتنة.

18. عبد الله بن محمد مسملي، (2023). Masmali@uqu.edu.sa.

19. محمد عودة الريماوي، (2003)، في علم نفس الطفل، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

20. مصطفى بوجمالة، مفهوم السليقة اللّغوية في التراث النحوي عند العرب، دراسة لسانية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علوم اللسان، كلية الآداب واللّغات، جامعة الجزائر، 2003.

21. نسيمة ربيعة جعفري، (2003)، الخطأ اللغوي في المدرسة الجزائرية - مشكلاته وحلوله -. ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

22. نهاد الموسي، (2007)، اللّغة العربية في العصر الحديث قيم الثبوت وقوى التحول، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن.

23. وزارة التربية الوطنية، (بلا تاريخ)، منهاج التربية التحضيرية، اللجنة الوطنية للمناهج، الجزائر.

24. وزارة الشؤون الدينية،(2009)، رسالة المسجد (مقال حول التعليم القرآني في الطور التمهيدي). الجزائر.

25. يحيى علاق، (2011)، أهمية السماع في اكتساب اللّغة وفي تعلّمها قبل التمدرس، كلية الآداب والّغات، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة.

26. يوسف بن عبد الله العليوي، (بلا تاريخ)، أثر تعلّم القرآن الكريم في إكتساب الملكات اللسانية، تحفيظ القرآن الكريم، جامعة الإمام محمد بن مسعود.

27. يوسف محمد عيد، (2016)، الحصيلة اللّغوية وعلاقتها بالذكاء الانفعالي لدى أطفال الروضة، مجلة الطفولة العربية، العدد: 68.

28. يوسف مقران، (2001). اللّغة العربية ومستقبلها، مجلة اللّغة العربية، المجلد: 3، العدد: 2، المجلس الأعلى للغة العربية.